

الفقه الاسلامي - العلاقات الاسرية - الطلاق - الدرس (٤ - ٤) : التفريق والخلع .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠١-٠٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الطلاق :

أيها الأخوة الأكارم... لا زلنا في موضوعات الفقه، والموضوعات كما بينت لكم من قبل موضوعاتٍ أشعر أننا في أمس الحاجة إليها، من خلال توقعٍ أو واقع، أكثر الأسئلة التي تردُّ من إخوةٍ كرام أربعة أخماسها أو أقل بقليل تتعلق بالطلاق.

فالإنسان علاقته مع زوجته هذه علاقة واقعة وقائمة، وهذه العلاقة قد تتعرّض لبعض المشكلات، أي حينما يلجأ الزوج إلى حل مشكلته عن طريق يمين الطلاق، فهذا طريقٌ فيه خطأ كبير، وقد بينت في الدرس الماضي كيف أن هناك الطلاق السني، والطلاق البدعي، طلاقٌ ثلاث مرات في مجلس واحد، ولموضوع واحد، هذا طلاق بدعي، طلاق الزوجة وهي في حيضٍ طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة في طهرٍ مسها فيه طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة لموضوعٍ لا علاقة لها به هذا طلاقٌ بدعي، طلاق الزوجة قبل أن تراجعها تطليقةً ثانية هذا طلاقٌ بدعي، طلاقٌ بلا شهود طلاقٌ بدعي.

هذا الموضوع تمّ عرضه في الدرس الماضي، وبيّنت أن الطلاق البدعي عند جمهور العلماء يقع، ولو أنه بدعي، وعند بعض العلماء لا يقع، إذاً يوجد مخاطرة كبيرة، لو أنك خالفت السنة في تطبيق زوجتك فإن الطلاق يقع عند جمهور العلماء.

والطلاق كما أَرادَه اللهُ عزَّ وجل صمام أمان، والطلاق فيه مراحل يمكن للرجل إذا ندم على فعلته أن يتلافى الندم، حينما جعل الطلاق تطليقةً أولى وعدة، تطليقةً ثانية و عدة، ثم البيّنونة الكبرى، كل هذا تم في درسٍ ماضٍ.

التفريق :

واليوم ننتقل إلى موضوعٍ آخر ألا وهو التفريق، يوجد عندنا تطليق، وتفريق، وخلع، التطليق من حق الزوج، والتفريق من حق القاضي، والخلع من حق الزوجة، الزوجة في بعض الحالات تتطلب أن تخلع من زوجها مقابل أن تسامحه بكل شيء



والقاضي أحياناً حينما ترفع له قضية امرأة سافر عنها زوجها ولم يعد، وظل مسافراً سنتين أو ثلاث، لا تعلم عن أخباره شيئاً، القاضي يصدر قراراً بالتفريق، وحكمه نافذ، وبإمكانها أن تتزوج بعد قرار التفريق، فالدرس اليوم عن التفريق والخلع، ولكن قبل أن نخوض في تفاصيل أحكام التفريق والخلع لابد من مقدمة.

الإيمان بالله و العمل الصالح :

أيها الأخوة الأكارم... الإنسان يوجد عنده شيئان أساسيان، الإيمان بالله والعمل الصالح، لأن الله عز وجل يقول:

﴿ وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: ١-٢]



أي الزمن يستهلكه، كلما مضى يومٌ انقضى بضعٌ منه، يستطيع أن يتلافى الخسارة في حالةٍ واحدة، أن يستهلك وقته في الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالكون، الإيمان بالكتاب - القرآن الكريم والسنة - الإيمان بالأحداث أي أفعال الله عز وجل، فأنت من خلال الأحداث تؤمن، ومن خلال القرآن الكريم والسنة تؤمن، ومن خلال الكون تؤمن،

ولكن إذا آمنت، إذا آمنت من خلال هذه المصادر الثلاث، وصدقت بما جاء النبي عليه الصلاة

والسلام، الآن شرط الإيمان أن تتعدّد صلةً لك بالله عزّ وجل، هذه الصلة أساس إشراق الحقيقة في النفس، يقول لك: فلان مستتير، فلان يمشي على هدى، وربنا عزّ وجل قال:

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة الملك: ٢٢]

يا أخوان إن حال المؤمن حال عجيب، المؤمن مستتير، قبل قليل أخ حدثني كلمة تأثرت بها، قال: إنه تنبأ لفلان بشيء فوق، المؤمن هل يعلم الغيب؟ لا والله لا يعلم الغيب لكن المؤمن يعلم قوانين الله عزّ وجل، يعلم هذه السنن التي سنّها الله عزّ وجل، فغير المؤمن يظن نفسه شاطراً عندما يأكل ما لا حراماً، ويقتتص اللذائذ المحرمة، ويعتدي على حقوق الآخرين، فهو يعد نفسه ذكياً بهذا الشيء، فيأتي العقاب الإلهي فيسحقه سحقاً، أما المؤمن فمستتير، يعرف أن العباد لهم رب، وحقوق العباد محفوظة عند الله عزّ وجل، إذاً عندما الإنسان يؤمن بوجود الله وكمالته وأسمائه الحسنى ووحدانيته، من خلال الكون أو القرآن أو الحوادث، وتتعدّد مع الله صلة، تشرق الحقيقة في نفسه.

ثمار الإيمان بالله :

١ . إشراق الحقيقة في نفس المؤمن :

الآن ثمار الإيمان ثلاث؛ ثمار كبرى، أول ثمرة: إشراق الحقيقة في نفسه، المؤمن مستتير، وكل ما يجري حوله له تفسير عنده، تفسير واضح تماماً، فلان كان ورعاً فأكرمه الله، فلان أكل ما لا حراماً فأتلّف الله ماله، فلان ظلم الآخرين فظلموه، فلان أحسن فأحسن إليه، تجده كلما سمع قصة، أو عاين واقعة، شعر أن هذه الواقعة تندرج في منظومة الإيمان.

لذلك أنا قلت لإخواننا البارحة: إذا سمعت قصة تقوي الإيمان فاروها، إنسان كان ورعاً فأكرمه الله، إنسان تعف عن الحرام فأكرمه الله، إنسان أكل ما لا حراماً فأتلّف الله ماله، هذه قصص تقوي، كما قلت في درس الجمعة: الله عزّ وجل قال:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾

[سورة يوسف: ١١١]

إذا بالقصة يوجد عبرة، وهناك شيء ثان في القصة:

﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾

[سورة هود: ١٢٠]

أحياناً القصة الصادقة الواقعية تعطيك دعماً، تعطيك بالتعبير الحديث زخماً، قوة معنوية عالية، أن الله عزّ وجل موجود، والله كبير، والله كريم، والله لا يتخلى عن المؤمنين وسينصرهم، فلذلك أول ثمرة بالإيمان هي إشراق الحقيقة في النفس، فلان مستتير، فلان يمشي على هدى، معه مفاتيح النجاح،

معه قوانين النجاح، يعرف أسباب الهلاك، يعرف أسباب الدمار، يعرف أسباب الشقاء الزوجي، أسباب السعادة الزوجية، يعرف أسباب النجاح بالعمل التجاري، يعرف أسباب الإخفاق بالعمل التجاري، يعرف أسباب السعادة النفسية الداخلية، كل هذا يعرفه، كلها من خلال كتاب الله عزّ وجل، من خلال دروس العلم، من خلال السنة النبوية، إذاً أول ثمرة من ثمار الإيمان: إشراق الحقيقة في النفس، المؤمن صاحب بصيرة.

٢ . اصطباغ النفس بالكمالات الإنسانية :

الثمرة الثانية بعد إشراق الحقيقة وهي: اصطباغ النفس بالكمالات الإنسانية، لا تصدق أن هناك مؤمناً كذاباً، لا تصدق، هذا ليس مؤمناً، المؤمن صادق، المؤمن أمين، المؤمن كريم، المؤمن عنده نفسية متواضعة، المؤمن عفو، المؤمن متسامح، المؤمن مُنصف، المؤمن يحاسب نفسه حساباً شديداً، المؤمن تحت قدمه كل العنعات الجاهلية، مرة قال لي أخ: سكنت في بناء أغلب سكانه من أسرة واحدة، واحد منهم قال له: من أنت؟ قال لي: قد جرحني، وهذه عننة جاهلية، عندما تعرفون أن أحد الصحابة في ساعة غضب غضب من سيدنا بلال فقال له: يا بن السوداء، فالنبي عليه الصلاة والسلام غضب غضباً شديداً، فقال له:

((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ...))

[منفق عليه عن المغرور بن سويد]

عندما تقول أنا ابن فلان، أنا أتكلم بكذا ألف، أو أنا حامي المال كذا، عندما تقول من هو فلان؟ أو ما معه فلان؟ حينما تتطلق انطلافاً عنصرياً فهناك جاهلية، أما المؤمن فمتواضع أولاً، ويحترم جميع الخلق من دون استثناء، إذاً أول ثمرة من ثمار الإيمان: إشراق الحقائق في النفس، المؤمن مستنير، أحياناً تجلس مع إنسان ابن صنعة،



يقول لك: هذه إذا فعلت ذلك يصير معك هكذا، إذا لم تغسل القماش ينكمش على التفصيل، إذا لم يكن القماش مكويًا على الطريقة الفلانية يعمل لك مشاكل، من هو صاحب الخبرة؟ يوجد عنده آلاف الحقائق، كلها متراكمة عنده، فكل غلطة لها نتيجة، كل غلطة لها ثمن، كل جهد زائد في الصنعة له ثمن أيضاً، فكيف أن أصحاب الصنعات يعرف ويتنبأ بما سيكون لا من باب علم الغيب، ولكن من باب معرفة القوانين، كذلك المؤمن تشرق الحقائق في نفسه، يعرف مثلاً من عَقِّ والديه سيأتيه أولادٌ

يعقونه، يعرف أن من كسب مالاً حلالاً يبارك الله له فيه، يكون دخله قليلاً لكن فيه البركة، وأنا أؤمن بالبركة، تجده يأكل، ويشرب، ويلبس، وحجم دخله لا يكفيه ثلاثة أيام حسب مقاييس الناس، كيف كفاه؟ الله عزّ وجل بارك له فيه لأنه مالٌ حلال، والمال الحرام كثير جداً لكنه يذهب بطريقةٍ أو بأخرى تؤلم صاحبها، لأن الله أتلفه، والنتيجة أن الإنسان إذا آمن بوجود الله وبكمالهِ وبوحدانيته من خلال الكون أو الأفعال أو القرآن، وعقد مع ربه صلةً محكمةً، أشرقت الحقيقة في نفسه أولاً، وثانياً اصطبغ بالكمال الإنساني، المؤمن محبوب، وإن لم يكن محبوباً فهو ليس مؤمناً، لماذا لا يُحب وهو الصادق الذي لا يكذب؟

قلت لكم مرة: إنسان كان له عمل لا يُرضي الله إطلاقاً، فاصططح مع الله وتاب واعتزل العمل الذي لا يرضي الله، فسئل: ما الذي جعلك تؤمن؟ قال له: أنا أعيش في جو كذب، وجو نفاق، وجو خداع ومؤامرات، وفي النهاية كلنا أشقياء، فلما خالطت أهل الإيمان قبل أن يصططح مع الله قال: رأيت الصدق والوفاء، رأيت التعاون، رأيت السعادة. فأنت اجلس مع المؤمنين، هذا شيء مريح جداً، الإنسان أولاً: طيب القلب صاف إذاً من ثمار الإيمان إشراق الحقائق في النفس، واصطبغ النفس بالكمالات الإنسانية.

٣ . الانغماس في السعادة الروحية :

الشيء الثالث: الانغماس في السعادة الروحية، اليوم في الفجر قلت لإخواننا كلمة، أجد نفسي حريصاً على إعادتها، وحتى لا نضيع الوقت يوجد نقطة وهي: يجب أن تصل إلى الله، وإن لم تصل إليه، يوجد في الدين نشاطات كثيرة جداً ؛ ممكن تستمع إلى دروس علم، ممكن تساهم في عمل خيري، ممكن تحفظ كتاب الله وهذا شيء عظيم، ممكن تؤلف كتاباً، ممكن تنتشر علماً، لكن من أجل أن تصل إلى الله لا بد من إحكام استقامتك، لا بد من طاعته طاعةً تامةً، لا بد من بذل شيءٍ ثمينٍ في سبيله، إذا أطعته إطاعة تامة، وبذلت شيئاً ثميناً تصل إليه، فإذا وصلت إليه أنزل على قلبك السكينة، ذكرت هذا في صلاة الفجر اليوم، لأن الله عزّ وجل يقول:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ﴾

[سورة الفتح: ٤]

أي المؤمن متمسكٌ بدينه، متمسكٌ بمجلس العلم، لأن نفسه انتشت بالقرب من الله عزّ وجل، عندما أقبل على الله واتصل به شعر بالطمأنينة، شعر بالسعادة، لذلك السكينة التي يلقيها الله على قلوب المؤمنين هي التي تشدهم إلى الدين، بالإضافة إلى إيمانهم بوحدانية الله وبِعظمتِهِ وبأسمائِهِ وبكَمالاتِهِ.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

[سورة الفتح: ٤]

فيا أخواننا الكرام إذا نحن تمكنا، ضبطنا أمورنا، ضبطنا استقامتنا، بذلنا مما أكرمنا الله به من علم، من مال، أهل الغنى عليهم أن يُنفقوا مما أفاء الله عليهم، أهل العلم عليهم أن يُنفقوا من علمهم، أهل الجاه عليهم أن يُنفقوا من جاههم، الاستقامة سلبية، والعمل الصالح إيجابي، أنت عندما تتضبط تلزم سبيل الاستقامة تماماً، لا تحيد عنها، في بيتك، في عملك، في نشاطاتك، في لهوك، في كسب مالك، في إنفاق مالك، في علاقاتك بأهلك وأولادك وبوالديك، أي حينما تلتزم أمر الله عز وجل، وحينما تبذل مما أفاء الله عليك، عندئذ تتعقد مع الله الصلة، عندئذ تصل إلى الله، ومن ذاق عرف، ومن وصل عرف، والقصة التي تعرفونها جميعاً: أن إنساناً خطب ابنة أحد الشيوخ، فهذا الشيخ يظهر أن الله فاتح له بصيرته، قال له: يا بني هذه مهرها غال جداً، قال له: ما هو مهرها؟ قال:

أن تحضر عندي، قال: نرضيه ونعمل له عدداً من الدروس ما هذا المهر العظيم!؟

يوجد أخ من أخواننا أحضر لي خطيباً إلى البيت وقال لي: هذا خاطب ابنتي، قلت له: أهلاً وسهلاً، لكن نحن أخواننا لهم التزامهم بالدرس، فقال لي: أحضر ولا شيء في ذلك، قلت له: أهلاً وسهلاً، فأصبحت ألاحظه أثناء الدرس جالساً و متضامناً، أصبح الدرس ضريبة بالنسبة له، وأشعر أنه ليس معنا إطلاقاً، صدقوني بعد شهر أو شهرين أو ثلاثة انقلبت أحواله كلها واندمج، فقال: سبحان الله مثلما قال الإمام الغزالي: " أردنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله ."

أنت أحياناً يستحي منك شخص فيأتي معك إلى الدرس، فأول الأمر جاء ليرضيك، وبعدها أقبل فأشرك الإيمان في قلبه، فلا تزهد، فأنا أردت من هذه المقدمة أن الإيمان أولاً فيه إشراق حقيقة، ثانياً بالإيمان يوجد شيء ثمين وهو الاصطباغ بالكمالات الإنسانية، المؤمن وفي.

فقد حدثني اليوم أخ يعطي دروساً خاصة، قال لي: والله إذا لم أفد الطالب أحس أنني أكلت مالاً حراماً، قلت له: بارك الله بك، وقلت له: والله التدريس الخاص ممكن ألف مدرس يأخذ منك على الدرس خمسمئة ليرة ولا يعلم ابنك، يجلس معه ساعة، يعطيه عدداً من التمرين و يقول له: حلهم، وإذا لم يعرف حلهم يحلهم له هو، لكن لم يعلمه كيف يحل التمرين، ولكنه جلس ساعة وأخذ خمسمئة ليرة، لكن المؤمن لا يأخذ خمسمئة ليرة حتى يعلمه فعلاً، حتى يعلمه كيف يحل مسألة، كيف يعرب، كيف يكتب موضوع تعبير، إذا لم يقدم له شيئاً ثميناً لا يأخذ مبلغ، إذا الإيمان فيه إشراق، وفيه كمالات، وفيه انغماس بسعادة روحية. يا أخوان إن لم تشعر بهذه السعادة فهناك مشكلة، أي إذا لم تشعر أنك قريب من الله وسعيد، راجع نفسك، ولا تقل: أنا أذهب إلى الدروس، أنا أصلي، أنا حججت خمس حجج، أنا عملت ثلاث عمرات، أنا أدفع زكاة مالي، إذا لم تصل إلى الله عز وجل وأخذت من الله السكينة هذه راجع حساباتك، كن واعياً، واعرف قيمة الحياة، إن الحياة ثمينة جداً، هذه النقطة الثانية، إذا الذين آمنوا، آمنوا بالله خالقاً ومربياً ومسيراً، آمنوا بوجوده ووحدانيته وكماله، آمنوا من خلال الكون والقرآن والأحداث، عندما آمننا انعدت مع الله صلة وعلى أساس هذه

الصلة الحقيقية بالنفس أشرقت، اصطبغت بالكمال، أصبحت إنساناً أخلاقياً يشار لك بالبنان، هذا لا يكذب، هذا لا يغش، المؤمن يحاسب نفسه حساباً عسيراً، حتى في كل الحرف، تجد نفسك ترتاح لصاحب الحرف المؤمن، أي معقول صاحب حرفة مؤمن يغشك؟ يقول لك: والله وضعنا قطعة من الوكالة وهي قديمة؟ يقول لك: هذه غيرناها وهو لم يغيرها معقول؟ لا هذه مستحيلة، مستحيل، لأنه يعرف أن الله موجود ويراقب، الشيء الثالث انغماس بالسعادة الروحية، إشراق الحقيقة بالنفس، الاصبغ بالكمالات البشرية.

تحرك الإنسان نحو العمل الصالح في اللحظة التي تستقر حقيقة الإيمان في نفسه :

الآن توجد فكرة دقيقة تكلمت عنها في خطبة الجمعة، في اللحظة التي تستقر حقيقة الإيمان في النفس يتحرك الإنسان نحو العمل الصالح، إيمان سكوني لا يوجد يا أخوان، لا تغشوا أنفسكم، إنسان نواياه طيبة مؤمن، فهذا إيمان مُزيف



الإيمان حركي، مثلاً: أب ويوجد مدفأة مشتعلة، وابنه صغير جداً وماشي باتجاه المدفأة، فهل يظل الأب ساكناً؟ هذا مستحيل، لا يتكلم بل يقفز ويمسكه من يده، أي مادام يوجد في قلب الأب رحمة، والطفل صغير جاهل بأخطار النار يندفع الأب للحركة، فتقول لي: مؤمن، فالمؤمن يتحرك نحو العمل الصالح، هذا معنى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سورة العصر: ٣]

تنمية الحق و صيائه :

لكن:

﴿تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾

[سورة العصر : ٣]

الحق يوجد عنده طريقة ذاتية للنمو، الحق إذا لم ينم، الباطل يحاصره، الحق إن لم ينم فهو يتراجع، فأنت كفرد عليك أن تؤمن وتعمل صالحاً، أما كفرد في مجتمع فعليك أن تتواصى بالحق، لذلك: مؤمن ساكت لا يوجد، المؤمن علامة إيمانه أنه يسعى، كل واحد منكم له أقرباء، له جيران، له زملاء عمل، له أصدقاء، له رفقاء ما قبل الإيمان، هؤلاء كلهم في نمته، دققوا في: "إن الله يسأل العبد عن صحبة ساعة" لك رفيق بالابتدائي، لك رفيق بالعسكرية، لك رفيق بالبيت القديم، بالحارة القديمة، لك رفيق عندما كنت تعمل في القماش، لك صديق مثلاً رافقته مرة في رحلة طويلة، صاحبته ساعة، مادام لك مع أخ صحبة ساعة، إن الله يسأل العبد عن صحبة ساعة، إنسان تزوج، دخل إلى بيت أهل زوجته، فرأى حماته طبعاً أصبحت من محارمه وله أصهر هم أخوة الزوجة، عندما صار بينه وبينهم معرفة هؤلاء أصبحوا في مسؤوليته، فإذا وجد انحرافاً عليه أن يهديهم، أن يدلهم على الله، أن يدعوهم إلى مجلس العلم، فالحق كيف ينمو؟ ينمو بالتواصي بالحق، هذا التواصي ينمي الحق، هذا النمو إن لم يكن كان الانكماش، الباطل ينمو، فالحق إذا لم ينم الباطل حاصره، وحتى الحق لا يتحاصر ويُحاصره الباطل فلا بد من التواصي، كلمة تنمية كلمة يقولها العالم كله اليوم، كل شيء ينمو، الشركات تنمو، الاقتصاد ينمو، الإنتاج القومي ينمو، والحق يجب أن ينمو، فإن لم ينم الحق يتراجع، لذلك حاسب نفسك هذا الحساب، عندما تجد نفسك لا يهتمك أحد، فقط يهتمك دخلك، وبيتك، ومصالحك الشخصية، ونجاح مصلحتك، ولا يوجد شيء تشتهيهِ إلا وأكلته، وعلى الدنيا السلام، هذه الحياة كلها، لا تغضب من نفسك، كن صريحاً معها، قل: أنا لا يوجد بي إيمان، كلمة إيمان تعني التحرك نحو خدمة الخلق:

﴿تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

[سورة العصر : ٣]

عندما كنا صغاراً كان يوجد خط قطار إلى بيروت، وكان يستغرق اثنتي عشرة ساعة، كان يلفت نظري بهذا الخط عند بعض الجبال يوجد ضمن السكة خط ثالث مسنن، سألت عنه فقيل لي: هذا مسنن لأن القطار عندما يصعد لسبب أو لآخر ويتوقف عن الحركة حتى لا يتراجع، لأن الحديد على الحديد يولد انزلاقاً، يوجد أسنان، والأسنان مربوطة بالقاطرة الأساسية، فهذا المثل ترك في نفسي أثراً أن الإنسان يصعد ولكن يجب ألا يرجع، التواصي بالحق أي ينهض بالحق، أما التواصي بالصبر فأني مسننات تمنع التراجع، فالصبر لئلا تتراجع، لئلا تنتكس، لئلا تضعف، لئلا تهون على الناس، اصبر وما صبرك إلا بالله، فهذه الآية في سورة العصر كانت محور الخطبة السابقة، أنك كفرد عليك أن تؤمن وتعمل صالحاً، وكفرد في مجموع عليك أن تدعو إلى الله، وأن تتحمل كل المتاعب، الدعوة إلى الله تنمية للحق، وتحمل المتاعب صيانة للحق من أي تراجع.

المرأة تطلق في حالتين نادرتين :

الآن ما علاقة هذه المقدمة بهذا الدرس؟ يوجد علاقة وشيخة، المؤمن يعيش لرسالة، يعيش لهدف كبير، فيكون مسيئاً لزوجته التي هي أقرب الناس إليه؟! هذا مستحيل. وتكلمنا في الدرس الماضي أن المرأة تطلق في حالتين نادرتين، حينما يشك في سلوكها، أي حينما يشك أنها زانية يطلقها، وحينما تفقد قيمتها أي حينما لا تحصنه، فأصل الزواج أن تحصنه عن الحرام، فإن لم تكن محصنة له هذه حالة ثانية، لكن ما سوى الحالات فأنا أحياناً أسمع عشرات الشكاوى، وأن كل هذا الكلام لا يوجب الطلاق، مهما تكلمت، لو ذكرت لي مئة علة لها، كل هذه العلة بمجموعها لا ترقى إلى مستوى أن تطلق، ومع التطليق تشريد الأولاد، والأصح إن سألتهموني هذا السؤال: المؤمن لماذا لا يطلق والطلاق مباح؟ أنا لي جواب خاص: لا يطلق لأنه حينما تزوج، تزوج وفق الشرع، اختارها مؤمنة، مادام اختارها مؤمنة إذاً لا يحتاج إلى تطليقها، هذه نقطة.

حالات التفريق بين المرأة و زوجها :

١ . إذا امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته :

درس اليوم أنه إذا فرضنا إنساناً ترك زوجته وسافر، يوجد عندنا موضوع اسمه التفريق، أول حالة قال: " الزوجة لها الحق أن تطلب من القاضي التطليق من زوجها إذا امتنع عن الإنفاق عليها "، نحن يوجد عندنا قاعدة أساسية في الزواج:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

[النساء: ٣٤]



البخل عامل مهدم للسعادة الزوجية

فالزوج حينما ينفق على زوجته له حق القوامة، فإذا امتنع ، فهو حبسها له، حبسها لصالحه، أعطاه الله حقوقاً كثيرةً عليها، أي له عليها، مقابل هذه الحقوق عليه أن يُنفق عليها، فإذا امتنع عن الإنفاق عليها فالزوجة لها الحق أن تطلب التفريق من قبل القاضي، هذا الموضوع خلافي، دائماً وأبداً إذا قلت: هذا الموضوع خلافي أي أن هناك فقهاء

أجابوا بوجوب التطلق، وهناك فقهاء منعوا التطلق، لهؤلاء حجج، ولهؤلاء حجج، الذين رأوا أن الزوج إذا امتنع عن الإنفاق على زوجته لها الحق أن تطالبه بالتطلق، قال: إن هؤلاء حجتهم أن الزوج مكلف أن يمك زوجته بالمعروف، أو يسرحها بإحسان لقوله تعالى:

﴿ فإمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسانٍ ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٩]

الإمساك بالمعروف من أولى شرائطه أن تنفق عليها، فإن لم تنفق عليها أنت أمسكتها بغير معروف، هذه أول حجة، الحجة الثانية، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا ﴾

[سورة البقرة: ٢٣١]

فهي تكون مربوطة لك، وموقوفة لخدمتك، وهي محصورة فيك وهي جائعة!! ليس لها مسكن، ليس لها طعام تأكله، يدخل مع الامتناع عن الإنفاق البخل، لا يوجد صفة تمتن علاقة الزوج بزوجه كالإكرام، فالبخل عامل مهتم للسعادة الزوجية، ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله .

((لا ضرر ولا ضرار))

[مسلم عن أبي سعيد الخدري]

فالإنسان إذا امتنع عن الإنفاق عن زوجته فقد أضر بها، وبعض العلماء قال: لا، الله عز وجل قال:

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا

آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

معناها إذا كان هناك تقطير، والزوج معسر فعلاً هناك حكم، وإذا الزوج ميسور الحال ويمتنع عن الإنفاق إضراراً بالزوجة أصبح هناك حكم آخر، فقد اختلف الوضع، فهناك معسر وهناك ممتنع، الممتنع له حل، والمعسر له الصبر، لكن سبحانه الله يوجد نظام، الزوج مكلف أن يطعم زوجته مما يأكل، لا يكلفه الله فوق ذلك، لماذا؟ حتى لا يكون هناك ضغط من الزوجات على أزواجهن من أجل أن يكسبوا مالاً حراماً لينفقوا عليهن، كانت الصحابية الجليلة تقول لزوجها: " اتق الله بنا نحن بك، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام " أي نحن إقبالنا على الله أساسه أنت، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام، هكذا كانوا الزوجات الصالحات، فهذه الآية تبين إذا كان الزوج معسراً فيجب أن نصبر، وما دام الزوج يطعمنا مما نأكل لم يعد هناك ظلم، لكن متى الظلم؟ إذا كان هو يأكل ما لذ وطاب ويحرم أهله.

سئل إمام كبير عن رجل عاجز عن الإنفاق على زوجته: أيفرق بينهما؟ قال: " نستأني به ولا يفرق بينهما، وتلا الآية الكريمة، الآية:

﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا

آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

[سورة الطلاق : ٧]

يوجد عندنا استنباط آخر أن الصحابة الكرام فيهم الغني وفيهم المعسر، وما ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام طلق امرأة من صحابي لأنه معسر، هذا الحكم لم يكن على عهد النبي موجوداً. ولما نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته شيئاً لا يملكه، عوقبوا من قبل الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحاً

﴿ جَمِلاً ﴾

[سورة الأحزاب : ٢٨]

والآية معروفة، فالحكم الوسط إذا الزوج يمتنع إضراراً، وكيداً، وإيقاعاً للأذى بزوجه، فلها الحق عندئذ أن تطالب القاضي أن يفرق بينهما، أما إذا الزوج معسر، الزوجة المؤمنة تصبر حتى يكرمه الله عز وجل.

٢ . إذا كان الزوج غائباً غيبةً قريبة :

الآن عندنا حالة ثانية، القاضي يفرق بين الزوجين قال: " إذا كان الزوج غائباً غيبةً قريبة، غاب ولم يترك شيئاً قال: " إن كان له مالٌ ظاهر أي له دكان وفيها موظفون، له مثلاً أموال مستثمرها عند أشخاص، إن كان له مال ظاهر القاضي يحكم بأن يؤخذ من المال شيئاً للإففاق على زوجته، وإذا لم يكن هناك مال ظاهر فالقاضي يوجه له إنذاراً بالطرق المعروفة، الآن بالصحف يوجه له إنذار، ويضرب له أجلاً، فإن لم يرسل نفقة زوجته على نفسها، أو لم يحضر للإففاق عليها، طلق القاضي هذه الزوجة بعد مضي الأجل.

٣ . الإيذاء الذي يجيز للزوجة المطالبة بالفراق مما لا يحتمل ولا يطاق :

أنا اليوم سمعت قصة آلمتني جداً قال لي: إنسان تزوج فتاة وأنجب منها ولدين وتركها وسافر، وأصبح غائباً ثلاث سنوات، أبوها أنفق عليها حتى عجز، وأبو الزوج أنفق حتى عجز، فرفعت أمرها إلى القاضي فطلقها منه، إذاً إذا إنسان غاب ولم ينفق على زوجته ، القاضي يحق له أن يحكم بالتفريق بينهما.

أحياناً الزوجة تطلب من القاضي التفريق إذا ادعت أن زوجها يوقع بها ضرراً بالغاً لا يستطيع تحمُّله، أخبرني أحد الأخوة وهو من إخواننا الكرام ومن رواد هذا المسجد عن قصة سوف أقولها لكم لأنها تفيدنا وهي مؤثرة: شاب في ريعان الشباب، وعنده معمل وغني، وله مقصف جميل في سهل الزيداني، وفيلا فخمة، فهو من أهل اليسار أي الغنى، خطب فتاة من أسرة محافظة، وأيضاً هذا تعبير شائع، يبدو أن الأب علمها تعليماً جيداً، والفتاة سالحة، ودينة، وتحفظ كتاب الله عز وجل، لكن هذا الشاب عقيدته عقيدة تفلت، فبعدما تزوجها زاره رفاقه فقال لها: أحضري لنا القهوة، قالت له: أنا لا أدخل على رفاقك، وكلما طلب منها طلباً طبعاً الطالب من خلاف الشرع ترفضه، وإذا طلب

منها أن يسهر معاً في الفندق في عيد رأس السنة، تقول له: أنا لا أذهب معك، هو متفقت جداً من الدين، يريد أن يعيش حياة عصرية؛ اختلاط ونزهات وحفلات ونواد، وهي لا تتجاوب معه، فوقع في مشكلة، فهو يريد فتاة تتجاوب معه، وهذه الفتاة تربيتها إسلامية، وترفض كل طلب خلاف الشرع، فالأب اقترح أن يطلقها، قال له: مادامت خلاف رغبتك طلقها، الأم قالت: لا لماذا تطلقها نحن لنا ترتيب آخر فلا تطلقها، هي تطلب الفراق، تطلب الطلاق أو الفراق من دون أن تأخذ شيئاً، فالقصة أن كان متأخراً كبيراً جداً ويهز الأسرة، فالأم رسمت خطة أن يؤذيها، يغيب للساعة الثانية كل يوم، كلامه يكون معها قاسياً جداً، يستخدم السباب الجارح، يهينها أمام أهله، يحرمها من كل طلباتها، فبعد شهر أو شهرين طلبت المخالعة وتسامحه بكل شيء، الخطة نجحت، والدته رسمت خطة ونجحت، فبدلاً من أن تضع لها مئتين أو ثلاثمائة ألف متأخر، فهذه الطريقة أفضل، كلام قاس، ضرب أحياناً، إهانة، سباب، إذلال، طبعاً بعد أسبوعين أو ثلاثة أو شهر لم تتحمل يقولون: إنها خرجت من عنده بثيابها فقط، حتى ثيابها الأخرى لم تأخذها، وسامحته بكل شيء وخلعها عن عصمته، وانتهى الأمر، ثم خطب فتاة تروق له، تستقبل رفاقه بغيابه، ممكن أن تدخل معه إلى الفنادق، ممكن أن تسهر معه، فهذا الشاب كلما وقع بورطة ونفذ منها، يقول: والله خلصنا من الورطة مثلما خلصنا من متأخر فلانة أصبحت فلانة التي تزوجها وضارها إلى أن سامحته بكل شيء، أصبحت هذه القصة عند هذا الشاب قصة للتسلية، فمرة كان له فيلا بمضاييا بأعلى السهل ولها إطلالة جميلة جداً، نازل على الشام بسيارته، فانظر إلى ترتيب ربنا، فركبت زوجته الجديدة بجانبه طبعاً، وركبت والدته خلفه، وركب والده خلف زوجته بالمقعد الخلفي، والده على اليمين، ووالدته على اليسار، وهو السائق، وزوجته على اليمين، يبدو أنه طائش في سوقه السيارة، كلما دخل بين سيارتين يقول له والده: يا بني على مهلك، يقول له: نفدنا مثلما نفدنا من متأخر فلانة، وصل إلى منطقة واجه سيارة فقصدت سيارته نصفين، مات هو وأمه لتوه، قطعوا قطعاً قطعاً، والزوجة والأب عاشا، قال: لأن الأب دائماً يلوم هذا الوضع، يقول لهم: لا يجوز يا جماعة، هذه بنت آدمية، أخذتموها أنتم من عائلة محافظة راقية، فهذا سلوك فيه ظلم، فالأب كان دائماً ينكر تصرف زوجته حماة الفتاة، وهذه الحماية هي التي تخطط، فرينا عز وجل قطعهم إرباً إرباً، فالمؤمن لماذا يستقيم على أمر الله؟ لأنه يؤمن برب كبير، أحياناً العوام يقولون: الله كبير، هذه الكلمة مهما قلتها فلا شيء عليك لأن الله بالفعل كبير، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال:

((اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً فإنها ليس بيننا وبين الله حجاب))

[متفق عليه عن عبد الله بن عباس]

وأكثر إنسان ينتقم الله له الضعيف، ليس له أحد وظلمته، إنسان ضعيف، أحياناً الإنسان يشهر بمؤمن، يكون المؤمن ليس له سند، هناك أشخاص إذا شهرت بهم فلن تنام في البيت مساءً، أما هناك مؤمن ضعيف ليس له سند، مستضعف، وهو يشهر فيه، فالله عز وجل ينتقم أشد الانتقام،

فعندما يحاول الإنسان أن يوقع الضرر بزوجته من أجل أن تسامحه بما لها عنده، فالله عزَّ وجلَّ ينتقم منه أشد الانتقام، لكن هذه الدعوى لا تسمح إلا في حالتين، إذا كان مع الزوجة بينة، أو اعترف الزوج بذلك، أما إذا لم يكن معها بينة والزوج لم يعترف، تشطب دعوها بالقضاء، طبعاً الإيذاء الذي يجيز للزوجة أن تطالب بالفراق مما لا يحتمل ولا يطاق.

٤ . إذا حمل الزوج زوجته على علاقة محرمة في الشرع :

بالمناسبة وإن كان الكلام سابقاً لأوانه، إذا أراد الزوج من زوجته عملاً لا يرضي الله أي في علاقته معها، إذا حملها على علاقة محرمة في الشرع لها الحق أن تطالب بالتفريق بينها وبينه، لكن دائماً القضاء يلجأ إلى تحكيم رجلين من أهله وأهلها، أي من أهل المروءة والشرف والواجهة والرجاحة والحكمة فلعلمها يصلحان ما فسد بينهما.

٥ . غيبة الزوج :

الآن التظليق لغيبة الزوج

طبعاً عندنا غياب قصير، وغياب طويل، وغياب معروف، وغياب غير معروف، لو فرضنا إنساناً غاب لطلب العلم هذا العذر مقبول، أو غاب لممارسة تجارة في بلد آخر عذر مقبول، غاب لكونه موظفاً خارج بلده عذر مقبول، أو غاب لكونه مجنناً ملتحقاً بقطعة خارج بلده عذر مقبول، هذه أعمار مقبولة للزوج، فالزوجة ليس لها



الحق أن تطلب التفريق في هذه الغيابات، أما غاب إلى مكان لا تعرفه ولا يوجد سبب ظاهر ولا أعلمها أين هو، فهذا الغياب الذي يجيز للزوجة أن تطالب بالتفريق، العلماء اختلفوا في الفترة التي تكفي، والله هناك زوجات زوجهم غائب عنهم عشر سنوات، ولم يفكروا في التفريق، وهناك زوجات لسنة واحدة تطلب التفريق، العلماء قالوا: لها الحق بعد ستة أشهر، أو بعد عام، أو بعد ثلاثة أعوام، لكن الإحسان شيء، والعدل شيء.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: ٩٠]

العدل قسري، أما الإحسان فطوعي، الأسير طبعاً، الأسير أو المحبوس نفس الشيء.

الخلع :

الآن الخلع، وملخص الخلع بسيط، هو أن هذه الزوجة لم تحب هذا الزوج، الزوج يسر لها مسكناً شرعياً، وأنفق عليها، وكل شيء تام، إلا أن الزوجة لم تحبه، فلها الحق أن تطالب القاضي أن يخلعها منه، لكن مقابل أن تسامحه بكل شيء كتبه لها أو أعطها إياه، هذا الذي أخذ من قول النبي:

((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة))

[النسائي عن ابن عباس]

هذا هو الخلع، الخلع من طرف الزوجة، والتفريق من طرف القاضي، والطلاق من طرف الزوج، طلاقٌ وتفريقٌ وخلعٌ، لكن بالمناسبة يوجد عندنا بالخلع مشكلة أن أكثر الأزواج يحاول أن يوقع الضرر بزوجه إلى أن تطالبه بالخلع، هذا عدوان، وهذا ظلم يهتز له عرش الرحمن، أما أنت لم تؤذها، لها ابن عم طمعانة فيه فرضاً وقد وعدنا أن يتزوجها، وأهلها زوجها من هذا الشاب بالضبط، فجلست معه وهي متألّمة، فمادامت غير راغبة به، قالت له: " يا رسول الله إني أكره الكفر بعد الإيمان "، أي أنا إذا عشت عند هذا الزوج أكفر، ولن أتحمله، قال لها: لو تراجعيه؟ قالت له: أتأمرني؟ قال: لا، قال: إنما أنا شفيح.

فمرّ بالسيرة النبوية مواقف مماثلة، على كل الخلع أحكامه بسيطة، أن الزوجة لسببٍ أو لآخر لم ترض بهذا الزوج، والزوج ليس له ذنب، وهو زوج مقبول، والعقد شرعي، والمسكن شرعي، وأنفق عليها، لكنها كرهته، فإذا كرهته قلنا له: طلقها وأعطها المتأخر نكون قد ظلمناه، أصبح هناك ظلم للزوج، لكن حينما يطالب الزوج الذي طُوب أن تختلع منه زوجته، أن تعطيه أكثر مما أعطها قال: هذا منه في الشرع، صار هذا ابتزاز، كقوله لزوجته: أطلقك لكن أريد منتي ألف، وكل متأخرها مئة ألف، أصبح الموضوع فروغاً، إذا طالب الزوج بأكثر مما دفع للزوجة هذا أصبح ظلماً كبيراً، طبعاً بعض علماء قالوا: يجوز على أساس أن الآية الكريمة:

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾

[سورة البقرة: ٢٢٩]

إذا كانت ميسورة جداً، لكن العلماء بعضهم يرى أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ منها أكثر مما أخذت منه، فالأكمل أن يكون هناك سقف، وسقف المطالبة بما أعطها لا بأكثر مما أعطها. مرة قال لي أخ: جاء شاب ليخطب ابنته، فقالوا: اقرؤوا الفاتحة، ضع يدك بيد عمك، قال له: زوجتك، قالوا: أحضرنا رجلاً آخر أيضاً، التمثيلية مهينة ومرتبنة، قال لي: رأيت نفسي زوجت ابنتي من أول جلسة، ولم أعرف ما هي القصة، ثم قال لي: لم يعجبني هذا كله، قلت له: ماذا تقول لم تعجبك؟ أصبحت زوجته، أصبح هناك إيجاب وقبول، انتبهوا أيها الأخوان.

سوف أقول لكم قصة وقعت في الشام، هذه القصة يجب أن يكون الإنسان منتبهاً ويقظاً، عدة أشخاص يجلسون في محطة وقود بالشام بالأزبكية، بعد العصر يشربون النرجيلة ، وهم يتسلون ويتكلمون ويتنادمون، فقال أحدهم لصاحب الكازية: تبيع هذه الكازية؟ قال له: أبيعها، قال له: بكم؟ قال له: بستمئة ألف، قال له: اشتريت، وانتهت الجلسة ولم يطلع منها شيء، ولا أحد جاد بكلامه، ولا البائع بائع، ولا الشاري شاري، وضحكوا وانبسطوا وذهبوا، حدثني بهذه القصة محامي وقد مضى عليها اثنتا عشرة سنة، سمعها محامي فقال له: هذه الكازية لك، فقال: كيف لي؟ قال له: ألم يقل لك بعت، قال له: بلى، قال له: إذا الكازية لك، أقاموا دعوة، وهناك شهود، ألم يقل لك: تشتري؟ قال له: نعم، ألم تقل له: بعت؟ قال له: نعم، لكن لم يدفع لي ثمن الكازية، فقال له القاضي ثمن الكازية في ذمته وأنت لم تطالبه به. إنسان صعد إلى قطار جلس، فوجد محله مشغولاً بمحفظة كبيرة وأمامه شخص قال له: هلا أخذت هذه المحفظة؟ قال له: لن آخذها، فسأله: لماذا؟ تلاسنا وتشاددوا اشتكوا، صفر شرطي القطار، وقف القطار لماذا لا تريد أن تأخذها؟ قال له: لأنها ليست لي، قال له لمن؟ قال: لهذا، قال له: لماذا لم تأخذها؟ قال: لم يقل لي أن آخذها، هذه القصة يا أخوان واقعية، كازية أصبح ثمنها اثني عشر مليون ضاعت عليه بستمئة ألف، لأنه قال له: بعت، فانتبه بعت أي بعت، الشرع لا يحتاج إلى ورق، فقط يحتاج الشرع إلى إيجاب وقبول في حالات البيع والزواج، قال لي: دخلوا عليه وقالوا: زوج زوج، ضع يدك بيد عمك زوجتك، قال: أنا قبلت وعلى مهر، اقرؤوا الفاتحة، أصبحت زوجته فأين تسير؟! الآن تطلب المخالعة، مثلما زوج تطلب الآن الخلع.

فيا أخوان دققوا في موضوع الإيجاب والقبول، ممكن إذا أنت قلت: أنا بعت تخسر البيت بربع ثمنه، أخي أنا لم أقبض، لا تقبض، دفع الثمن شيء آخر غير البيع، البيع إيجاب وقبول، ودفع الثمن له شيء آخر، فكازية بيعت بستمئة ألف أصبح ثمنها اثني عشر مليوناً، طبعاً المحامي تمكن أن يستدعي الشخص ويحلف يمينا، أتى بشهود، ومادام هناك إيجاب وقبول وهناك شهود انتهى وأصبحت الكازية ملكه، لكنه لم يدفع ثمنها، أنت لم تطالبه، لو طالبني أعطيه لكن هو لم يطالبني فجزاه الله الخير، وموضوع الحياء هذا موضوع ثان، ما أخذ بالحياء فهو حرام، لكن إذا إنسان قال: بعت أي باع، زوجت أي زوج، هذا هو الشرع، يجب أن تحتاط قبل أن تقول: نعم أو بعت أو وافقت أو زوجت أو تزوجت، هناك مسؤولية، فالخلع هكذا.

على كل أرجو الله جل جلاله ألا نحتاج جميعاً لا إلى خلع، ولا إلى تفريق، ولا إلى طلاق، المؤمن حينما اختار زوجته مؤمنةً سالحةً أغلب الظن أنها تعيش معه، أغلب الظن أنها ترعى حقه، أغلب الظن أنها وفيه له، هو حينما كان مؤمناً إذاً بقلبه رحمة، وبقلبه إنصاف، و بقلبه عطف، القلب القاسي بعيد عن الله عز وجل.

بهذا الدرس الثالث والأخير تنتهي أبحاث الطلاق، أنا الحقيقة ما أردت التفاصيل الفقهية، التفاصيل الفقهية مملّة.

الطلاق إيقاع للأذى و إتلاف للمال :

هناك شيء آخر نادر الحدوث، وهناك حالات نادرة جداً لا تقع بالمئة ألف، حالة واحدة هذه حينما تقع نسأل عنها، لكن أردت من هذه الدروس الثلاث التوجيهات الدينية العامة، أن الإنسان عليه أن يحفظ هذه النعمة التي أكرمها الله بها، يا أخوان الزوجة نعمة، ويا أيتها الأخوات المؤمنات الزوج أيضاً نعمة، فالتى تسارع وتقول له: طلقني، هذه امرأة لا تروح رائحة الجنة لأنها كفرت هذه النعمة، والزوج الذي يطلق امرأته لأتفه الأسباب هذا كفر بنعمة الزوجة، لأنها نعمة. أولاً: الطلاق من قبل الزوج أو المخالعة من قبل الزوجة عملية إيقاع الأذى بالطرف الآخر، أليس كذلك؟ وإيقاع الأذى حرام، ثانياً: إتلاف للمال، الإنسان بعدما تزوج ودفع مهراً ودفع هدايا خلال سنتين أو ثلاث وتكلف، كل هذه المبالغ التي دفعت أصبحت مهدورة بالطلاق، فالطلاق إيقاع أذى وإهدار للمال، والأهم من هذا وذاك كفر بنعمة الزوجة، والمخالعة أيضاً إيقاع الأذى بالزوج، قبل أن تقولي: وافقت، ادرسي الأمر، أما بعدما وافقت والرجل هياً نفسه وجهاز البيت واشترى وتكلف وابتنظر هذه الساعة بفارغ الصبر، تقول: لا أريدك ولا أحبك، طلقني وأنت مسامح بكل شيء، فالسرعة بتطبيق الزوجة كفر بنعمة الزوجة، والسرعة بمخالعة الزوج أيضاً كفر بنعمة الزوج، فإذا إنسان أكرمها الله بزوجة تحصنه، وترعى حقوقه، وتعرف قيمته، هذه ليحافظ عليها.

ليس الذكر كالأنثى :

النقطة الدقيقة أنه لا يوجد إنسانة كاملة، ولا يوجد زوج كامل:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اسْتَوْصُوا
بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ
تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[البخاري عن أبي هريرة]



ترجع الزوجة على الزوج بعاطفتها وأحاسيسها

لكن بعض الأذكيااء فسروا هذا الحديث تفسيراً رائعاً، قال: الضلع هذا لو كان مستقيماً كان يخرج من البطن من الأمام، يصبح مثل الشوكة، أما جماله فيمكن بأنه معوج، ماشي مع البطن،

التفريق والخلع .

الآن عظام الصدر كلها معوجة، ولولا أنها معوجة لما احتملتها أساساً، سر نجاح الأضلاع أنها كلها معوجة، فالاعوجاج كمالٌ فيها، الاعوجاج كمالٌ في الضلع، لو كان غير معوج لا يرضيك، إذا إنسان أريد امرأة لها عقلٌ راجح لكنها مقصرة في حقه، فهل يهملك أن تسمع منها محاضرة بالفلسفة ولا يوجد طبخ مثلاً؟ ماذا تريد من هذه المحاضرة؟ الله عزَّ وجل أعطها إمكانيات خدمة البيت، والعناية بالأولاد، لو هي لها عقل راجح مثل عقل الرجل، لا تقبل أن تصبح زوجة لك من الأصل، لكن هي عندها عاطفة راجحة، هي ترجح عليه في عاطفتها وفي أحاسيسها، ويرجح عليها في إدراكه.

يذكر أنه كان هناك ملك شديد الذكاء، قام بجولة ليتفقد رعيته، فدخل إلى بستان فرأى حصاناً معصوب العينين، فلم يفهم لماذا، وكان بعنقه جلجل أي جرس، وكان الحصان يدور ليخرج الماء من البئر، وهذه معروفة، فهذا الملك فكر فقال لصاحب الحصان: لماذا عصبت عينيه؟ قال له: لئلا يصاب بالدوار، إذا لماذا وضعت هذا الجلجل في رأسه؟ قال له: حتى إذا وقف أعرف ذلك، الملك وقف وقال له: فإذا وقف وهز رأسه؟ فأجابه الفلاح إجابة ذكية جداً: وهل له عقلٌ كعقلك؟ أحياناً تنشأ المشكلة بالبيت تريد أن يكون عقل زوجتك كعقلك، لا هي ليس عقلها كعقلك، فهذه لها عالم آخر، وطالما تريد أن يكون تفكيرها كتفكيرك فلن تتجح معها، فإله قد جهزها تجهيزاً آخر، جهزها الله تجهيزاً انفعالياً، تجهيزاً عاطفياً، تجهيزاً رقيقاً، وأنت أعطاك راحة عقل، وأعطاك قلباً متماسكاً، وأعطاك نظرة بعيدة، فانظر لما ربنا قال:

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾

[سورة الليل : ١-٣]

فما علاقة الذكر والأنثى بالليل إذا تجلّى؟ قال: كيف أن الليل للسكن، لا تترتاح إلا بالليل، لماذا جعله الله سكناً وجعلنا النوم لباساً؟ وكيف النهار لكسب المال؟ فالنهار والليل متناقضان لكنهما متكاملان؟ وقد تجد الرجل له خصائص تختلف عن المرأة، والدليل قال تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾

[سورة آل عمران: ٣٦]

فقد درسنا في الجامعة كتاباً لأشهر عالم نفس طفولة اسمه " بياجيه " هذا الكتاب يدرّس في معظم جامعات العالم، والكتاب ثمانمئة صفحة ملخصه في هذه الآية: وليس الذكر كالأنثى. القدرات الخاصة عند الإناث، والقدرات الخاصة عند الذكور، الذاكرة، والمحاكمة، والقدرة الرياضية، والقدرة اللغوية، والقدرة التنظيمية، والقدرة الإدارية، كلّها عبارة عن إحصاءات دقيقة جداً تنتهي بملخص أن الذكر ليس كالأنثى، إذاً يجب أن نعلم أن الزوجة لها خصائص، كما أن الليل للسكن، والنهار لكسب المال، كذلك الزوجة والزوج لو اختلفا في الصفات لكنهما متكاملان كالليل والنهار.

والحمد لله رب العالمين